السمات الزخرفية في العصر العباسي

م.م.وسام جاسم حسين بناته

الفصل الأول - مشكلة البحث:

الزخرفة من الفنون الاسلامية العريقة التي لها أثرها الواضح في التزيين على الخامات كافة، استخداماتها متعددة ومتنوعة على مختلف المواد وأغراضها تزيينية، فهي تستخدم في تزيين واجهات الأبنية والمساجد وتدخل في تزيين الحيطان الداخلية والجدران الخارجية وفي الاشرطة التي تحيط ببعض الابنية أو الاشكال أو المواضيع الزخرفية نفسها، وتستخدم ايضاً في تزيين التحف والمقتنيات وما الى ذلك من استخدامات متنوعة، والزخارف العربية الاسلامية لها خصائصها ومميزاتها التي اعطتها طابعها الخاص الذي يميزها عن غيرها من الزخارف، وقد اختلفت هذه الزخارف باختلاف أنواعها والخامات التي استخدمت فيها والعصر الذي وجدت فيه.

ولما كانت تلك الزخارف هي الأصل للزخارف المعروفة في الوقت الحاضر كان لزاماً على المختصين في هذا المجال معرفة تلك الأصول والتطورات التي أسفر عنها تقادم الزمن في أشكال تلك المفردات الزخرفية، لاسيما مع قلة الدراسات التي تختص بهذا المجال بشكل واضح وصريح لابراز الخصائص وانما كانت تذكر بصورة غير مباشرة وغير مركزة في بعض الكتب دون الاشارة اليها كصفات او سمات تميزت بها زخارف العصر العباسي، ومن هنا تتجلى لنا مشكلة البحث والتي تتلخص بالسؤال التالي:-

- ما هي السمات التي تميزت واختصت بها الزخارف في العصر العباسي.

أهمية البحث والحاجة اليه:

اتسم العصر العباسي في زخارفه بخصائص ومميزات من خلال ما عرفناه من الشواهد الباقية حتى اليوم مثل المدرسة المستنصرية والقصر العباسي وبعض الآثار المحفوظة في المتاحف والتي تعد عينات يمكن الاعتماد عليها والمقارنة بين المفردات والزخارف الموجودة عليها لمعرفة خصائصها ومميزاتها، ولاظهار براعة الفنان المسلم في استخدام تلك المفردات الزخرفية في وحدات متعددة واماكن مختلفة، إذ تكمن الحاجة للبحث في اثراء الجانب الجانب الوصفي والتحليلي الذ يبين أهم السمات التي اتصفت بها الزخارف في العصر العباسي، فضلاً عن المساعدة التي يقدمها البحث في التعرف على الزخارف العباسية وتمييزها عن غيرها من الزخارف.

حدود البحث:

يتحدد البحث في الزخارف النباتية والهندسية والخطية في العصر العباسي بالعراق للمدة من سنة (145الى سنة 656هـ)(750-1258م).

أهداف البحث:

يهدف البحث الى كشف السمات الشكلية الاساسية للزخارف الهندسية والنباتية والخطية في العصر العباسي.

تحديد المصطلحات:

نظراً لما ورد من مصطلحات فنية في هذا البحث، فان بعض المؤلفين والباحثين قاموا بتعريف بعضاً منها وبعضهم ذكرها مستوعبة لأكثر من مجال، وفي ضوء توجه البحث فان الباحث سيذكر بعضا منها وبالشكل الذي يعرّفها بشكل تخصصي وهي:

1- **الزخرفة:** يذكرها الرازي بانها (الذهب، ثم يشبّه به كل مموّه مزور، والزخرف المزيّن)(6ص270)، ويذكرها (كمال عيد) بأنها فن التزيين والحلية، وهدفها تكوين عناصر فنية تعبيرية وتجريدية (8ص231،161).

2- **الزخارف الخطيّة:** وتعني استخدام الخط الكوفي أو الثلث الكبير القياس المعروف بـ(الجلي) أو (الجليل) في تزيين الجدران الخارجية كأفاريز مشغولة الارضيات اما بزخارف نباتية غصنية أو بطريقة الوحدة الهندسية المكررة (4ص10).

التعريف الإجرائي:

يتبنى الباحث في تعريف الزخرفة رأي (كمال عيد) الذي يعرّف الزخرفة بأنها ((فن التزيين والحلية وهدفها تكوين عناصر فنية تعبيرية وتجريدية)).

أما الزخارف الخطية فيعرفها الباحث بانها تلك الخطوط العربية التي تؤلف من جراء تراكبها مع الزخارف النباتية أو الهندسية أو تفرع هذه الزخارف منها نسيجاً زخرفياً مختلفاً يلبي وظائف جمالية.

الفصل الثاني (الاطار النظري والدراسات السابقة)

(المبحث الأول)

الفنون الزخرفية (تمهيد تاريخي)

الزخرفة من الفنون التي لها أصولاً عميقة في التاريخ ومتوغلة فيه، يظهر ذلك من ما وصلنا من استخدامات لهذا الفن على مرّ العصور من خلال الآثار الباقية على مختلف الخامات لا سيما تلك المصنوعة من الحجر أو الباقية كشواهد أثرية أو التي عثر عليها من خلال التنقيبات، إذ ان بعضها يرجع الى آلاف السنين لحضارات سومر وبابل وآشور، وقد استلهم الفنان العراقي مفردات زخارفه من الطبيعة التي كان يعيشها مثل الحيوانات والنباتات وبعض الاشكال الهندسية البسيطة ((ومن تلك المفردات الأسد المجنح ذو الرأس الآدمي ورأس الحصان وزهرة البشنين الآشورية (شكل1) وزهرة الروزيت (شكل2) والنخيلة الآشورية (شكل3) وبعض الاشكال المحورة التي استخدمت في تزيين تيجان الاعمدة (شكل4)، وقد استعمل البابليون والآشوريون الزخارف لتزيين المشيدات من العمائر))(14ص27).

أما في مدينة الحضر فقدكانت الزخرفة التي تزين واجهات الاواوين عبارة عن تماثيل منحوتة على الاقواس تمثل مجموعة من الآلهة والاشكال الاسطورية واشكال هندسية ونباتية وحيوانية ومنها ورقة الاكانتس والحيل الميروم (شكل5) وقد اقتبس الفنان الحضري بعض عناصر الزخرفة من العمارة الآشورية وبعضها من ابتكاراته الخاصة، وقد استخدمت رؤوس الحيوانات بدلاً من الثيران المجنحة التي كانت تستخدم في تزيين القصور والمعابد الأشورية، وقد طور المعمار في الحضر الاساليب التي اقتبسها واضاف عليها بحيث ظهر اسلوب جديد أطلق عليه (الفن الهليني) (13ص18).

وقد استخدم العراقيون الاوائل الزخارف اساساً بشكل بسيط في تزيين أسلحتهم وعمائرهم من خلال النحت على جدران ابنيتهم كأفاريز أو تيجان لأعمدة تلك العمائر أو من خلال التحزيزات أو الخطوط المستقيمة أو المنحنية التي كانت تستخدم في تزيين الأواني أو بعض المنحوتات أو ما يرونه ضرورياً لاضفاء الجانب الجمالي عليه.

الزخرفة الاسلامية:

بعد استمرار النشاط الزخرفي المتطور تدريجياً والمستند الى الاساليب والطرق التي كانت تستخدم في تصميم المواد المختلفة من عمائر ومنسوجات ومعادن وزجاجيات وما الى ذلك من الخامات التي كانت تزين بمختلف المفردات، أتى الدين الاسلامي ليكون له دوراً واضحا في تحديد شخصية الزخرفة عن طريق حث المسلمين على استخدام اشكالاً جديدة تلبي الحاجات التزيينية للعمائر والاسلحة والمقتنيات المختلفة الامر الذي جعل الفنان المسلم ينصرف الى اتقان الزخارف البعيدة عن تجسيد الطبيعة فاقتبسوا من الفنون القديمة العناصر الزخرفية التي تلائم الدين الاسلامي وتتناسب مع ذوقهم الفني وطبعوها بطابعهم الخاص واخرجوها اخراجاً فنياً جديداً، ثم ابتكروا عناصر زخرفية جديدة حتى اصبح للفن الزخرفي الاسلامي خصائص تميزه عن غيره، والجدير بالذكر ان الزخارف استعملت في العمارة الاسلامية الاولى كمظهر من مظاهر العناية بها وتجميلها، ويتضح ذلك من عناية المسلمين بالمسجد النبوي بالمدينة وحرصهم على تزيينه منذ العصر الراشدي، وجاء العصر الاموي فشهد ميلاً كبيراً نحو زخرفة العمائر بشتى انواعها مثل قبة الصخرة بالقدس التي بنيت سنة (72هـ).

أما في العصر العباسي فقد استمر الاتجاه السابق في زخرفة العمائر المختلفة، إذ كانت مدينة سامراء التي بنيت سنة (221هـ) وبقايا ابنيتها المختلفة ما تزال شاخصة الى الان وهي مزدانة بزخارف جصية وافرة بعضها ذات عناصر نباتية وهندسية محفورة، كما أظهرت نتائج التنقيبات في هذه العاصمة العباسية وجود زخارف من الرخام والفسيفساء وقطع القراميد (القاشاني)(3ص89)، حتى يبدو كأن ((الاهمية الاساسية في المنشآت الاسلامية تقوم على الزخرفة))(11ص266).

نستنتج مما تقدم ان الدين الاسلامي قد حدد الزخرفة والزمها الابتعاد عن ادخال الصور والرسوم الآدمية كمفردات تدخل ضمن التكوينات الزخرفية.

(المبحث الثاني)

أنواع الزخارف الاسلامية في العصر العباسي

ساهمت بغداد بقسط كبير في تطوير الزخارف والتفنن في تنفيذها على مختلف الخامات، وقد وصلت الينا امثلة بديعة منها ما تزال قائمة الى الآن، وتتمثل تلك الزخارف بـ:

1- الزخارف الهندسية:

تعد الزخارف الهندسية من الأنواع المهمة ذلك لأنها تحتل الصدارة بين الزخارف لاسيما زخارف العصر العباسي والمدرسة المستنصرية، إذ انها استخدمت أكثر من بقية الانواع بشكل يدركه المتلقي بوضوح، اذ تعتمد الزخارف الهندسية في بنائها على الاشكال الهندسية المعروفة كالمربع والدائرة وتوصيلات الخطوط المستقيمة بين نقاط التقاطع لهذه الاشكال، فبتراكب مربعين أو تقسيم أقطار الدائرة الواحدة والتوصيل بينها بالخطوط من نقاط معينة تظهر لنا نجوم متعددة الأضلاع منها ثمانية وذات عشرة رؤوس واثنا عشر رأساً أو اكثر، وتنتج من امتداد اضلاع المربعات وتقاطعها مع بعضها أشكالاً مضلعة مختلفة منتظمة أو غير منتظمة فتتكون منها وحدة زخرفية هندسية، وعن طريق تكرار هذه الوحدة بالتجاور الافقي والعمودي تنتج لنا أشكال نجمية جديدة ومتعددة الرؤوس منها رباعية وخماسية وسداسية وهذا يعتمد على الشكل الهندسي في الوحدة الاساسية، ويرجع الفضل بابتكار أشكال زخرفية هندسية جديدة نجمية أو غير نجمية في العصر العباسي الى دراية الفنان المسلم بعلم الهندسة الذي بدأت بوادر ازدهاره في العصر العباسي فأثرت بدورها بشكل كبير على نوعية التصاميم الزخرفية المستخدمة في ذلك العصر من خلال ظهور أشكال زخرفية جديدة، وان ابرز ما تمتاز به الزخارف الهندسية هو تنوع الاطباق النجمية الناتجة عن تكرار الوحدة الزخرفية الاساسية التي تنتج فيما بينها نجوم ذات رؤوس متعددة منها الاشكال المضلعة الرباعية والخماسية والسداسية وغيرها، إذ انها تدل على التطور الكبير الذي طرأ على هذا النوع من الزخرفة الاسلامية وتضوجها في العصر العباسي (3ص94)، ومن مميزات هذا النوع من الزخرفة هو قابليته على التداخل مع الزخارف النباتية حيث ان الفراغات التي تتخلل النجمات الهندسية والمضلعات المختلفة الاشكال تملأ بزخارف نباتية كبيرة في الحجم أو دقيقة ويتجلى ذلك في سقوف الأروقة والحنيات والنوافذ في القصر العباسي، إذ ان الاشكال الهندسية المتجمعة بهيأة طبق نجمي وأشكال أخرى قريبة الشبه منه قد زخرفت بزخارف نباتية منها خشنة واضحة المعالم وأخرى دقيقة (7ص15) كما في (شكل9).

2- الزخارف النباتية:

توضح هذه التسمية لغير المتخصصين بشكل لا يقبل الشك بان هذا النوع من الزخرفة قوامه عناصر نباتية منقولة عن الطبيعة أو مشابهة لها وهي كذلك بالفعل، إذ ان هذه الزخارف كانت في بداياتها تحاكي الطبيعة بشكل مباشر من خلال تقليد عناصر طبيعية وادخالها في انشاءات زخرفية ومن تلك العناصر ورقة العنب متعددة الفصوص وعناقيد العنب وكيزان الصنوبر وسعف النخيل التي تعرف بـ(البالمت) وأغصان النباتات وبعض أشكال الازهار البسيطة وهذه الاخيرة لها نوع من الزخرفة يطلق عليها (الزخارف الزهرية) وذلك لسيادة عنصر شكل الزهرة على الانشاء الزخرفي والانتشار هذا العنصر بشكل واضح على الانشاء بشكل عام.

ويرجع استخدام الزخارف النباتية الى آلاف السنين منذ حضارة سومر وأشور وبابل واستمر هذا الاستخدام بعد ظهور الاسلام، والسبب في استخدام هذا النوع هو استلهام الفنان عناصر زخارفه من المحيط الذي يعيش فيه، وبانتشار النباتات الجميلة وتعدد انواعها وكثرة عناصرها كان طبيعياً ان يستمد الفنان من تلك العناصر في تكوين موضوعات وانشاءات زخرفية، وتطورت تلك الاشكال بمرور الزمن بشكل يمكنها من الارتباط مع غيرها من الزخارف في وحدة متناسقة.

استعملت العناصر النباتية المختلفة في الزخارف البغدادية إلا انه يمكننا تتبع هذه الزخارف في سامراء، ومن أمثلة هذه العناصر العنب بأوراقه وعناقيده (شكل6) وسعف النخيل بأنواعه المفصصة والبسيطة وأنصافها وأشكالها المركبة (2ص155)، وقد استخدمت الزخارف النباتية احياناً في مساحات مخصصة لها إلا ان معظم الزخارف النباتية نجدها تملأ بواطن المضلعات الهندسية والاشرطة الزخرفية وكذلك استخدمت بين الكتابات ، إذ نراها ممتدة في الفراغات بين الحروف على شكل أغصان مورقة متموجة مُشكِّلة بذلك مهاد رائعاً للكتابات (شكل7)، ومن مميزات الزخارف النباتية خضوعها لظاهرة النمو وسيادة مبدأ التناظر والتشابه والتقابل في الوحدات الزخرفية فنجد ان الشكل الزخرفي ينقسم الى نصفين متناظرين تماماً أو أربعة وحدات زخرفية متناظرة ومتشابكة (3ص94، 96) كما في (شكل8).

3- **الزخارف الخطية:**

تعد الكتابة ذات طابع وظيفي بحت وذلك باستخدامها لايصال المعلومات للآخرين عن طريق قراءتها، وقد جاء الخط ليحسن من مقرونية المعلومات المكتوبة ان كانت آيات قرءانية أو رسائل أو عقود مبايعات ولزيادة جمالية الكتابة وجعلها تسر القارئ وتوضح معاني الكلمات بعدم الالتباس فيها، وفي عصر صدر الاسلام جاءت جميع التطبيقات الخطية خالية من التزيين، وكانت تفتقر الى المظهر الزخرفي وتجسدت هذه الحقيقة في المصاحف التي كتبت في العصر الراشدي، إذ كان الصحابة والتابعون يتحرجون من ادخال اي شئ على القرءان الكريم (11ص107) وبعد ادخال حركات الاعراب والتزيين (الاعجام) الى الخط وانتقال مركز الخلافة من بلاد الشام الى بغداد في العصر العباسي بدأت بوادر التطور تظهر على الخط العربي من خلال تنوع الخطوط وتعدد اشكالها فأصبح الخط العربي يتسم بقابلية على أداء وظيفتين الأولى قرانية والثانية جمالية تزيينية من خلال استخداماته المتنوعة في كتابة عناوين السور القرءانية وزخرفتها وتزيين واجهات مداخل بعض الابنية في العصر العباسي ومن امثلتها المدرسة المستنصرية كما في (الشكل7).

اشتهر الفن الاسلامي في العصر العباسي باستعمال الكتابات الزخرفية، فهي الى جانب وظيفتها كوسيلة للتعريف بالبناء أو تسجيل الأوقاف أو ذكر العبارات الدعائية أو الآيات القرءانية الكريمة استعملت كعنصر زخرفي تزييني عن طريق تنوع الخطوط والحروف التي اتخذت اشكالاً زخرفية جميلة، وقد وصلنا نوعان من الخط العربي وهما: الخط الكوفي وخط الثلث، وعلى الرغم من ان خط الثلث لم يتخذ طابعاً زخرفياً واضحاً الا انه ظهر في كثير من الاحيان على مهاد من زخارف نباتية كانت تملأ بأغصانها وفروعها وأوراقها خلفية الكتابة (2ص156)، فنجدعلى واجهة مدخل المدرسة المستنصرية عشرة أسطر افقية تحمل كتابة تتضمن تعريفاً بالبناية وأهدافها واسم مؤسسها (المستنصر بالله) وألقابه وتاريخ بنائها في سنة (630هـ) وهذه الكتابة تظهر فوق مهاد من زخارف نباتية قوامها أغصان تخرج من تفريعات وأوراق أو سعف نخيل نصفية بحيث تمتد بين الكلمات والحروف بشكل متموج يجعلها تنساب فتملأ الفراغات الموجودة، إذ تمثل هذه النماذج قمة ما وصل اليه الفنان العربي في تلك الفترة (شكل7) (3ص96).

4-الأرابسك:

وهي نوع من الزخرفة ابتكره الفنان العربي لغرض تلبية احتياجاته، إذ تعد من أهم المظاهر الزخرفية في العصر العباسي والتي لاتزال تستخدم حتى اليوم.

إن لب الزخرفة كامن في طيات ما يسميه علماء الآثار بـ(الأرابسك) الذي أسماه بشر فارس اجتهاداً بـ(الرقش)،(ومن الممكن ان تتبين في الرقش عنصرين ثابتين وهما تأويل النبات ولا سيما الورقة والساق، والثاني استغلال الخطوط استغلالاً يجريه التصور)(9ص14) وعلى الرغم ان الفنان المسلم لم يكن البادئ باستخدام الاشكال النباتية المحورة في الأعمال الزخرفية إلا انه كان الاول في ابتكار طريقة صياغتها وترتيبها وفق قوانين التقابل والتوازن والاشكال الشعاعية، (ويعد ما بقي من آثار العصر العباسي الأول المنحوتة على الحجر أو الجص من أكثر الموضوعات أهمية، إذ توضح تلك الزخارف نشأة أشكال التوريق في الزخرفة الاسلامية)(5ص91)، إذ عثر على قطع قديمة محلاة بورق العنب وعناقيده وغيرها والتي كانت تزين الحنيات أو الطاقات الموجودة في جدران مساكن سامراء والذي يعتقد انه كان نقلاً عن بغداد (10ص39)، ومن ناحية أخرى فان الفنان المسلم قد عول على الظل والضوء في انتاج الزخارف المنفذة على الجص اذ ان للضوء والظل اثراً واضحاً يضفي على زخرفة الارابسك جمالاً فنياً رائعاً (12ص22).

وان زخرفة الارابسك اخذت تنمو وتتطور حتى وصلت الى ذروة نضوجها في زخرفة العمائر والتحف المختلفة سواء كانت من الخشب او المعادن او الخزف وكذلك في تزيين بعض صفحات الكتب.

الدراسات السابقة

عني الكثير من الباحثين بدراسة الزخارف العربية الاسلامية، لاسيما تلك التي وصلتنا من بقايا العصر العباسي، ومن اهم تلك البحوث حسب اطلاع الباحث ما يلي:

1-دراسة (حمودي) (**زخارف الابنية البغدادية في العصر العباسي**) بحث منشور 1976م، إذ استهدفت الدراسة وصف الزخارف المنفذة بالآجر على أبنية بغداد في العصر العباسي وبيان قيمتها

الفنية والجمالية، وقد استخدم الباحث الطريقة الوصفية لبيان استخدامات الزخارف الهندسية والنباتية والكتابية على عمائر بغداد المتمثلة بعينة الباحث في المدرسة المستنصرية والقصر العباسي.

وتوصل البحث الى ان التراث الزخرفي البغدادي الذي احتفظت به الابنية العباسية المتبقية في بغداد قد اصبح مصدر الهام للفنانين في العصور المتعاقبة.

2-دراسة (الاعظمي) (**الزخارف الجدارية في آثار بغداد**) رسالة ماجستير منشورة1980م، استهدفت الدراسة الكشف عن جميع الزخارف الجدارية المنفذة على العمائر الباقية من العصر العباسي والمتمثلة على الاغلب بزخارف القصر العباسي والمدرسة المستنصرية والمدرسة المرجانية، إذ مثلت عينة البحث الزخارف الهندسية والنباتية والكتابية المصورة عن الآثار الباقية في القصور والمدارس أو المكتشفة من جراء التنقيبات، ومن نتائج الدراسة: التدرج في تطور الزخارف الهندسية بشكل خاص والنباتية والكتابية والاستعاضة في الزخارف الهندسية عن المضلعات البسيطة باشكال هندسية تقوم على نجوم ومضلعات معقدة في تركيبها.

3-دراسة (داود) (**الأسس الفنية للزخارف الجدارية في المدرسة المستنصرية**) رسالة ماجستير 1989م، استهدفت الدراسة التعريف بالأسس المعتمدة في تصميم الزخارف الهندسية والنباتية والخطية فكانت العينة تشتمل على جميع الزخارف المنفذة بالآجر على جدران المدرسة المستنصرية، اعتمد الباحث على منهج الملاحظة في تحليل الوحدات الزخرفية لبيات الاسس الفنية لكل نوع من الزخارف المنفذة في بناية المدرسة من الداخل والخارج، وقد توصلت الدراسة الى: اعتماد جميع النماذج الهندسية في انتشارها وتكرارها على ثلاثة وحدات رئيسة هي المربع والمستطيل المتباين القياسات والمضلع المنتظم وغير المنتظم: وكذلك تميز ثلاثة انواع من التكرار للنماذج الهندسية وهي التكرار بالتجاور والتعاكس والتبادل باتجاه محدد.

مناقشة الدراسات السابقة

من الواضح ان أغلب الدراسات السابقة قد استخدمت نوعين أو طريقتين من طرق البحث العلمي وهما منهج الملاحظة والطريقة الوصفية وذلك يرجع الى ان هذين المنهجين هما الاكثر ملائمة لمثل هكذا دراسات من اجل توضيح الاسس او الطرق او ابراز القيم الفنية للزخارف وصياغتها بشكل يسهل على القارئ فهم المصورات التي تستند عليها البحوث.

على غرار ما تقدم فقد استخدم الباحث طريقة الملاحظة لوصف العينات المستخدمة في هذا البحث.

ما أسفر عنه الاطار النظري والدراسات السابقة

من خلال ما تقدم ذكره في الاطار النظري والدراسات السابقة ظهر:

1- الأثر الكبير للزخرفة في اثراء الحركة الفنية الاسلامية عامة والعباسية بشكل خاص وظهور شخصية خاصة للزخارف في العصر العباسي.
2- اعتماد الزخارف الهندسية في انتشارها وتكرارها على المربع والمستطيل المتباين القياسات والمضلع المنتظم وغير المنتظم.
3- ظهور أربعة انظمة في تصميم الزخارف النباتية وهي الحشوات النباتية المبنية على العناصر الكأسية وأنصافها والأوراق الجناحية والحشوات النباتية المبنية على الاغصان وتفرعاتها فقط والحشوات المزدوجة والحشوات الغصنية المجردة.
4- استعمال العناصر النباتية المختلفة في الزخارف البغدادية ومن امثلتها العنب بأوراقه وعناقيده وسعف النخيل بأنواعه.
5- الطراز الزخرفي البغدادي الذي يتضح في زخارف الابنية العباسية اصبح مصدر الهام للفنانين في العصور التي اعقبت الفترة العباسية.

الفصل الثالث: اجراءات البحث

مجتمع البحث:شمل مجتمع البحث الزخارف الهندسية والنباتية والكتابية كافة في العصر العباسي، إذ قام الباحث بتحديدها في أهداف بحثه.

وحصل الباحث على مجتمع بحثه من المتابعات المكتبية والشواهد الاثرية الباقية حتى اليوم، ومن مصورات التحف في كتب الاختصاص.

العينة:

بما ان مجتمع البحث الاصلي يتحدد في زخارف العصر العباسي وهي:

1-الزخارف الهندسية.

2-الزخارف النباتية.

3-الزخارف الخطية.

فقد اعتمد الباحث اسلوب اختيار العينة القصدية من المجتمع الأصلي، وفي حدود توجه البحث واهدافه صنف الباحث مجتمع بحثه للحصول على عينة ممثلة للمجتمع وهي:

1-الزخارف الهندسية ومنها:

1- الزخارف الهندسية ذات الاطباق النجمية أو التطبيقات الحصيرية.
2- الزخارف الهندسية ذات الحشوات النباتية.

2-الزخارف النباتية ومنها:

1- الزخارف النباتية ذات العناصر الطبيعية.
2- الزخارف النباتية ذات العناصر المحورة عن الطبيعة.

3-الزخارف الخطية وهي:

1- الخطوط على الأرضيات النباتية.
2- الخطوط على الأرضيات الهندسية.

مصادر جمع المعلومات:

استطاع الباحث ان يجمع معلومات بحثه من:

1-الكتب المتخصصة بدراسة الفنون الزخرفية والفنون الاسلامية والاطاريح الجامعية والبحوث المنشورة وغير المنشورة.

2-الشواهد الاثرية الباقية حتى يومنا الحاضر مثل المدرسة المستنصرية والقصر العباسي عن طريق المصورات.

أداة البحث:

استخدم الباحث في أداة بحثه منهج الملاحظة لوصف السمات الشكلية للزخارف في العصر العباسي، وصمم استمارة للتحليل من اجل الكشف عن السمات الزخرفية، ينظر الملحق رقم (1).

صدق الأداة:

للتأكد من ان الاستمارة صالحة لتحليل عينات البحث، عرض الباحث الاستمارة على عدد من الخبراء* لمعرفة مدى صلاحيتها للتطبيق، وبعد مناقشة الخبراء في محتواها ثبت صلاحيتها للتطبيق بنسبة (85%)**.

* عرضت الاستمارة على عدد من الخبراء في مجال الاختصاص وهم:
الأستاذ الدكتور عباس جاسم الربيعي، عميد كلية الفنون الجميلة، جامعة بابل.
الأستاذ الدكتور عبد الرضا بهية داود، تدريسي، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد.
الأستاذ المساعد الدكتورة، صفا لطفي، تدريسية، كلية الفنون الجميلة، جامعة بابل.

** النسبة المئوية لحساب صدق الاداة بحسب معادلة كوبر.

عدد مرات الاتفاق / عدد الخبراء 100 x

تحليل العينات

(نموذج1)

وتتضح هذه الزخارف في بناية القصر العباسي والمدرسة المستنصرية من خلال استخدامها في تزيين الواجهات للمدرسة المستنصرية، وقوامها وحدات نجمية بتخطيطات هندسية ذات ثمانية رؤوس أو عشرة أو أكثر، وقد زينت هذه الواجهات بتكرار وحدة زخرفية هندسية على كامل المساحة المراد اشغالها بتزيينات زخرفية منتظمة كانت أو غير منتظمة، على سطوح مستوية أو منحنية مثل الأعمدة ذات الأشكال الاسطوانية والسقوف، ومن ناحية اخرى فقد استخدمت هذه الزخارف على شكل أشرطة تحيط بتصاميم زخرفية متعددة الاشكال وفي بعض الاحيان يستعاض عن الزخارف النجمية بتخطيطات هندسية متكونة من تقاطع أو تراكب الخطوط المستقيمة من خلال انكسارها مكونة اشرطة هندسية أو زخارف حصيرية والتي هي زخارف هندسية متنوعة تتشكل اما من تجميع وترتيب قطع الأجر المستطيلة أفقياً وعمودياً بما يشبه نسيج الحصير، وأما من ترتيب قطع الأجر المستطيلة بشكل أفقي تتخللها مربعات مشغولة بوحدة زخرفية محفورة تتراصف من جهة زواياها لتشكل التصميم الزخرفي المطلوب، وهذه المربعات اما تكون بارزة عن سطح الجدار واما تكون جميع التفاصيل الزخرفية بمستوى واحد.

(نموذج 2)

تتألف هذه الزخارف بنفس الاسلوب سابق الذكر، ولكن تستخدم معها زخارف نباتية لملء الفراغات المتكونة من تقاطعات الخطوط وانكسارها (الاشكال المضلعة أو النجوم) ان كانت منتظمة أو غير منتظمة، وقوام الحشوات أغصان نباتية تتفرع منها البراعم أو الاشواك وتنتشر عن طريق استخدامها بشكل حلزوني وفي بعض الاحيان تشكل تفرعاتها امتداد للغصن بشكل حلزوني آخر، وفي

بعض الاشكال الهندسية الكبيرة تستخدم حشوات متناظرة أفقياً أو بشكل شعاعي، وتستخدم في رسم الزخارف الهندسية خطوطاً مزدوجة لزيادة جماليتها وأيضاً لفرز وتمييز الاشكال المضلعة عن بعضها من أجل عدم الخلط بين الحشوات النباتية في المضلعات أو استخدام خطوطاً عريضة في رسمها.

ومن الجدير بالذكر ان هذا النوع قد استخدم اكثر من غيره في الفترة الاخيرة من العصر العباسي كما شاع استخدام هذا النوع في القصر العباسي والمدرسة المستنصرية بشكل كبير.

(نموذج3)

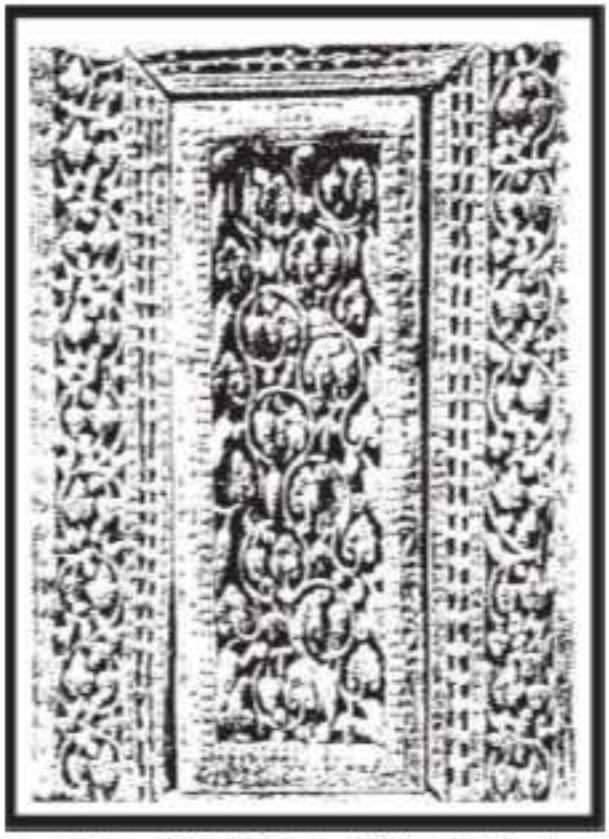

تتمثل هذه العينة بباب خشبي من تكريت تعود للقرن (2هـ) مزخرفة بشكل جميل تظهر الزخارف فيها بارزة على خلفية غائرة توضح استخدام العناصر النباتية الطبيعية في بناء زخرفي رائع، إذ تتكون الحشوة الزخرفية الرئيسة في هذا الباب من أوراق العنب ثلاثية وخماسية الفصوص وعناقيد العنب وكيزان الصنوبر وتربط هذه العناصر أغصان بشكل شبه حلزوني يتفرع من كل غصن غصنٌ آخر يحتوي على نفس العناصر وبتكرار هذه العملية واستمرار التفرع بشكل محسوب تكون نسيج زخرفي رائع يحيط به اطار مكون من دوائر بشكل فصوص تحيط بالشكل المركزي تشبه المسبحة ثم يليه شريط زخرفي مؤلف من تفريعات غصنية يأتي بعدها شريط مشبك يحتوي على خطوط مستقيمة افقية يقطعها خط مستقيم آخر بشكل عمودي ثم بعد ذلك يأتي شريط زخرفي قوامه أغصان شبه حلزونية تحتوي على أوراق عنب ثلاثية وعناقيده وهي بذلك تشبه بشكل كبير الحشوة الداخلية، ومن الجدير ان نذكر بان هذا النوع من الزخارف قد ظهر بشكل واسع في زخارف طراز سامراء الاول، ومن العناصر الاخرى المستخدمة في هذا الطراز سعف النخيل والزهريات المختلفة.

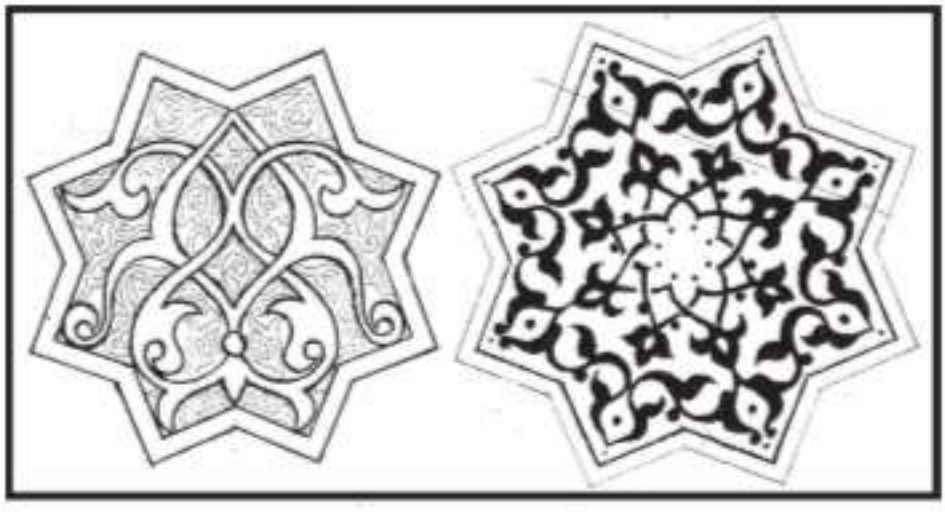

(نموذج4)شاع استخدام هذه العناصر منذ ظهور نظام أو طراز سامراء الثاني، إذ ان الزخارف النباتية قد اتسمت بابتعاد اشكال عناصرها عن الطبيعة (التجريد) فاتخذت طابعاً اخر في أشكال العناصر الزخرفية بحيث لم تظهر حركات الاغصان المتفرعة ذات الاستدارات الحلزونية ولكن انتشرت العناصر الكأسية الثنائية والثلاثية الأوراق الكاملة منها والمقسومة وظهور الاوراق المحورة عن الطبيعة ومنها الأوراق الجناحية والسيفية ، وبانتهاء الطراز الثاني وبداية الطراز الثالث ابتعدت الزخارف عن اشكالها الطبيعية تماماً بحيث ولد نوع جديد من الزخرفة وهو (الارابسك) وهي تسمية اجنبية أطلقها علماء الآثار الغربيين ولكن بعض المؤلفين قد اصطلحوا على تسميتها بمصطلح الرقش العربي أو التوريق العربي، وقد استعمل هذا النوع من الزخرفة في اكساء بواطن المضلعات الناتجة عن الزخارف الهندسية أو في اشغال ارضيات الخطوط التي يراد منها تزيين جانب أو جزء معين من البناء، وقوامه تفريعات غصنية اما بشكل حلزوني او بتكرار وحدة معينة بشكل متطابق بالتناظر عمودياً أو أفقياً أو حول محور شعاعي بأكثر من اتجاه، وقد استخدمت في بعض الاحيان مفردات كبيرة على خلفيات دقيقة من الزخارف من نفس النوع (كما في نموذجي هذه العينة) لاكساء مضلعات كبيرة للزخارف الهندسية ويظهر ذلك بوضوح في زخارف القصر العباسي والمدرسة المستنصرية.

(نموذج 5)

يتضح هذا النوع في الزخرفة الخطية التي تزين واجهة مدخل المدرسة المستنصرية كما في

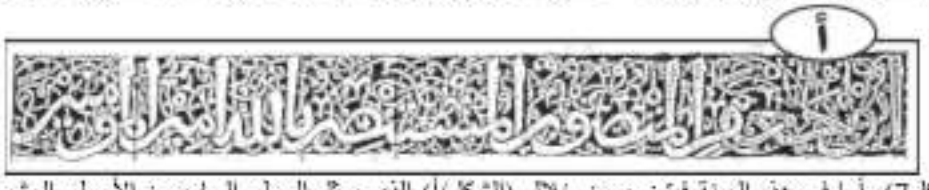

(شكل7)، أما في هذه العينة فيتضح من خلال (الشكل/أ) الذي يمثل السطر السابع من الأسطر العشرة في (الشكل7)، إذ استخدم فيها خط الثلث على ارضية ذات تفريعات غصنية وهي عبارة عن أغصان منتشرة بشكل حلزوني ومتموج تتفرع منها براعم وأشواك وعنصر كأس الزهرة المحور عن الطبيعة بحيث تظهر هذه الزخارف وكأنها متشابكة مع الحروف في حين ان الكتابة بارزة في المستوى الأول وتأتي بعدها الزخرفة النباتية بالمستوى الثاني الأمر الذي يجعل الناظر يدرك عن طريق احساسه بالضوء والظل الناتج عن الحف وبروز الخط عن الارضية بان الخط فوق مهاد زخرفي قوامه أغصان متموجة، إذ يؤدي الخط بهذه الحالة وظيفتين اساسيتين الاولى هي القيام بواجب اعلامي بالاخبار عن ماهية المكان واسم مؤسسه وسنة انجازه، أما الوظيفة الثانية فتتمثل باعطاء قيمة فنية وجمالية لواجهة المدرسة وذلك من خلال اشتراكه مع الزخارف الهندسية والنباتية بحيث تظهر اغلب العلاقات الزخرفية للأنواع الثلاث في واجهة هذه المدرسة.

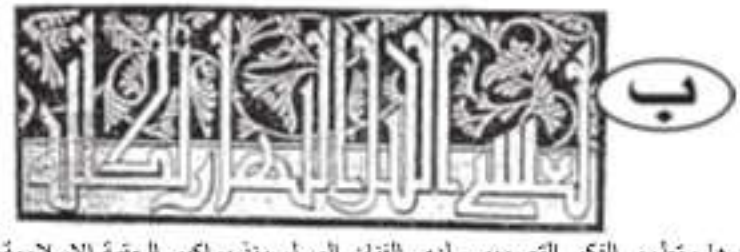

أما (الشكل/ب) من هذه العينة فيعود للقرن الرابع الهجري، إذ يمثل دقة في تصميم الزخارف وتنوعها من جهة ومن جهة أخرى فهو يمثل النضوج في صياغة الخطوط وتطورها وتطور الفكر التصميمي لدى الفنان المسلم منذ بواكير الحقبة الاسلامية، وكذلك بالنسبة (للشكل/ج) الذي يمثل كتابة كوفية بديعة من ناحية التطور الشكلي للخط العربي وعلاقاته مع ارضياته التي جمعت في هذا الشكل الزخارف النباتية والهندسية البسيطة لتكون مهاداً متناغماً مع النص الكتابي، إذ يعود هذا للقرن الخامس الهجري، وجديراً ان نذكر هنا ان زخارف هذين الشكلين بعيدة عن الطبيعة تماماً وهي تشبه الى حد كبير زخارف التوريق العربي.

(نموذج 6)

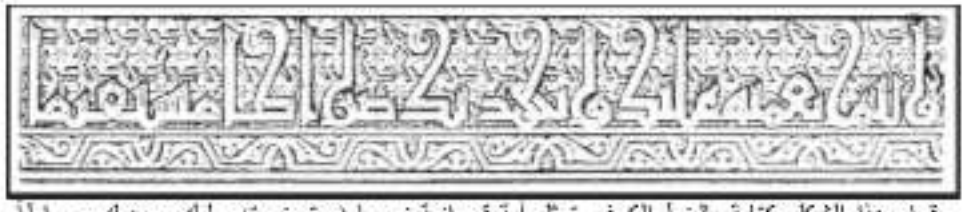

وقوام هذا الشكل كتابة بالخط الكوفي تمثل آية قرءانية نصها (ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً) قائمة على زخارف هندسية مؤلفة من نجمات سداسية تكونها معينات متراصفة ومتصلة من اضلاعها السفلى نحو مركز النجمة وباتصال النجمات من رأس كل شكل معيني بالأخرى وتكرارها تكونت ارضية زخرفية جميلة شغلت مساحة الخلفية الخطية كاملة، ويحد الشكل من الاسفل شريط زخرفي متكون من خطوط مستقيمة منكسرة بزوايا منفرجة وحادة تنتهي ببراعم وكأس الزهرة محور وبتراكب وتكرار هذا الشكل الهندسي النباتي يظهر شريط متناسق يحد الزخرفة الخطية من الاسفل، ويرجع تاريخ هذا الشكل الى القرن الخامس الهجري.

وجديراً ان نذكر ان لتطور الخط الكوفي ونشوء أنواع متعددة منه مثل الخط الكوفي المظفور والمزهر قد دفعت الفنان المسلم الى ابتكارات لانشاءات مختلفة للزخارف الخطية تخدم الجانب الجمالي باخراج جديد.

الفصل الرابع:

النتائج:

من خلال ما تقدم في مسيرة البحث يتضح لنا ان الفنان المسلم قد ابتكر اسلوباً جديداً في معالجة التصاميم الزخرفية وهو المزاوجة بين اكثر من نوع من الزخرفة في وحدة متناسقة تعزز الجانب الجمالي وبشكل لا يؤثر على شخصية اي نوع أو يقلل من أهميته بل انه يزيد من قيمة كلا النوعين ويساعد على زيادة جمالية النوع الأخر من خلال التطبيقات العديدة التي ظهرت واضحة في الاستخدامات الزخرفية في الفترة العباسية، وفيما يلي أهم التوصلات بشأن السمات الزخرفية في العصر العباسي من خلال ما ورد في البحث من ايضاحات:

1- الاستخدامات المزدوجة للزخارف النباتية التي تظهر تارة في تزيين مساحة خاصة من خلال تفرعاتها او تكرار بعض الوحدات وتارة اخرى تظهر بشكل ارضية للخطوط أو بشكل حشوات للزخارف الهندسية أو استخدامها بقياس اصغر كأرضية لزخارف نباتية اخرى اكبر منها حجماً.
2- قابلية الزخارف النباتية على الاشغال الفضائي ضمن المكان المراد زخرفته من خلال استخدام الحلزون الذي يعد الانسب لملئ الفراغات الغير منتظمة الشكل لقابليته على النمو في التفرع والتشعب من خلال حركة الاغصان ولاحتوائه على اكثر من عنصر مثل الاوراق وعنصر كأس الزهرة والاشواك والبراعم وغيرها من العناصر التي تزيد من جمالية هذا النوع الذي تطور بشكل ملحوظ خلال العصر العباسي.
3- ولادة نوع جديد من الزخرفة لم يكن معروفاً من قبل وهو (الرقش العربي) أو (الارابسك) وهو من ابتداع الفنان المسلم خلال عصر سامراء الثالث ومنها انتشر الى بلدان العالم وهو بذلك يعد سمة اساسية من السمات التي اتصفت بها زخارف العصر العباسي.

4- ظهور نوع جديد من الزخرفة وهي الزخارف الخطية التي تعد من ابتكار الفنان المسلم في العصر العباسي والذي ظهر جلياً في المدرسة المستنصرية عن طريق استخدامه في واجهة المدخل وايضاً كشريط زخرفي يزين اعلى الجدار الخارجي لنفس المدرسة.
5- انتشار وتطور الزخارف الهندسية التي تعتمد في بنائها على الدائرة واقطارها التي تولف تقاطع الاقطار وانكسارها اشكالاً جميلة تدل على التطور الكبير الذي طرأ على هذا النوع ونضوجها في الفترة المتأخرة من العصر العباسي.
6- اظهار الدقة الكبيرة في حرفية الفنان المسلم من خلال التعشيقات النباتية الهندسية التي تدل على تفهم تام لأسس التصميم في توزيع الوحدات باتزان رصين.

الاستنتاجات

من خلال ما تقدم في البحث وفي النتائج توصل الباحث الى استنتاجات تتمثل بـ:
1- ان الزخارف بفروعها الثلاثة الهندسية والنباتية والخطية تمثل نسيجاً مترابط يمكنها جميعاً من التأقلم مع اي تصميم فتجتمع لتكون وحدة زخرفية منجانسة تؤدي اغراضاً عدة منها قرائية واعلانية وجمالية.
2- ان التطبيقات الزخرفية تميزت بالحداثة ما يجعلها تستمر لقرون عديدة وحتى وقتنا الحاضر.
3- ان التطويرات التي طرأت على الزخارف منذ طرز سامراء لم تكن اعتباطية وانما لتنمية الجانب الابتكاري والتجديد في استخدامات العناصر.

التوصيات

في ضوء ما تقدم من نتائج البحث واستنتاجاته يوصي الباحث:
1- اعتماد النتائج والاستنتاجات كسمات شكلية للزخارف في العصر العباسي لما لها من اهمية في تمييز الزخارف العربية في العصر العباسي عن غيرها.
2- الافادة من هذا البحث في مجال الاختصاص بالشكل الذي يغني الجانب العلمي والمعرفي.

المقترحات

1- اجراء دراسة عن جماليات الزخارف الهندسية وتنوع استخداماتها.
2- اجراء دراسات متخصصة عن الزخارف الخطية لانها تجمع بين نوعي الاختصاص.

المصادر

القرءان الكريم.

2-الأعظمي، خالد خليل، **الزخارف الجدارية في آثار بغداد**، رسالة ماجستير منشورة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1980.

3-حمودي، خالد خليل، **زخارف الابنية البغدادية في العصر العباسي**، مجلة افاق عربية، العدد الثاني، تشرين اول، 1976.

4-داود،عبد الرضا بهية،**الاسس الفنية للزخارف الجدارية في المدرسة المستنصرية**، رسالة ماجستير، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، 1989.

5-ديماند، م.س، **الفنون الاسلامية**، ترجمة احمد احمد عيسى، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1958.

6-الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، دار الرسالة، الكويت، 1982.

7-عبد الرسول، سليمة، **الاصول الفنية لزخارف العصر العباسي ببغداد**، وزارة الثقافة والاعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، 1980.

8-عيد، كمال، **فلسفة الادب والفن**، الدار العربية للكتابة، تونس، 1978.

9-فارس، بشر، **سر الزخرفة الاسلامية**، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، 1952.

10-كونل، ارنست، **الفن الاسلامي**، ترجمة أحمد موسى، دار صادر بيروت، 1966.

11-مارسيه، جورج، **الفن الاسلامي**، ترجمة عفيف بهنسي، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد، دمشق، 1968.

12-مرزوق، محمد عبد العزيز، **العراق مهد الفن الاسلامي**، وزارة الثقافة والاعلام، 1971.

13-هادي، بلقيس محسن، **تاريخ الفن العربي قبل الاسلام وبعده**، كلية الفنون الجميلة، بغداد، مطبعة جامعة الموصل، 2000.

14-يوسف، أحمد أحمد وزميله، **خلاصة تاريخ الطرز الزخرفية والفنون الجميلة**، الطبعة الثانية، د.م.، 1948.

ملحق / 1

الاستاذ ..... المحترم

يضع الباحث بين ايديكم استمارة التحليل الخاصة بالبحث الموسوم:

(السمات الزخرفية في العصر العباسي)

الذي يهدف الى الكشف عن السمات الشكلية للزخارف في العصر العباسي

ونظرا لما عهده الباحث فيكم من معرفة علمية فانه يرجو بيان رأيكم حول فقراتها عن طريق اضافة او تعديل ما ترونه مناسبا بوضع علامة (/) تحت الفقرة التي تحقق اهداف البحث وعلامة (X) تحت الفقرة التي لاتنسجم مع اهدافه.

وتقبلوا فائق احترامي

نوع الزخرفة						الشكل العام		اسس وعلاقات التصميم الزخرفي								الاداء الوظيفي		
هندسية		نباتية		خطية														
ذات حشوات نباتية	ذات اطباق نحتية وتطبيقات معدنية	ذات عناصر محورة	ذات عناصر طبيعية	ذات ارضيات نباتية	ذات ارضيات هندسية	منتظم	غير منتظم	الايقاع	التناسب	الاتساق	التباين	السيادة	التطابق	التكرار	التوازن	الزخارف الهندسية	الزخارف النباتية	الزخارف الكتابية

ملحق/ 2 قائمة الأشكال

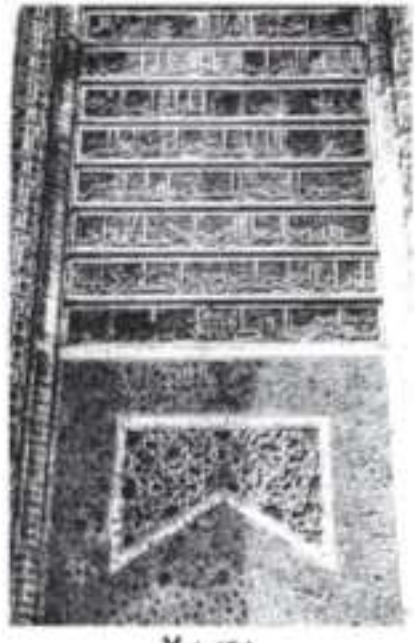

شكل / ٦

شكل / ٧

واجهة مدخل المدرسة المستنصرية

شكل / ٨

زخارف التوريق (الاربسك)

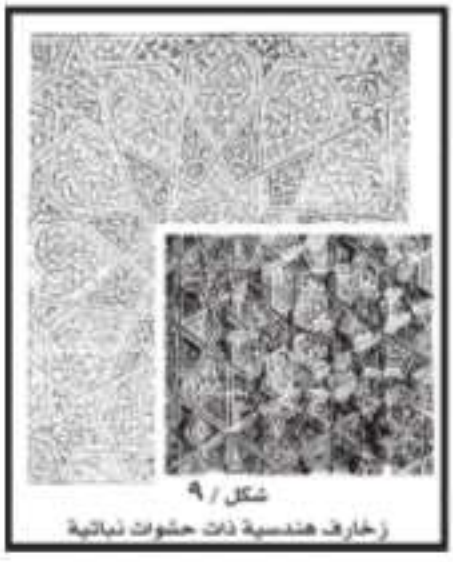

شكل / ٩

زخارف هندسية ذات حشوات نباتية